التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بقضايا الأدب و النقد

تصدر عن مخبر الأدب العام و المقارن
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

العدد الرابع

جوان 2013

التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

إدارة المجلة: أ.د. عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د. محمّد بلواهم

أمانة التحرير:

- د. نظيرة الكنز
- د. هجيرة لعور

منشورات مخبر الأدب العام و المقارن

العدد الرابع جوان 2013

جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

مخبر الأدب العام والمقارن

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار / عنابة

ص.ب. 12 عنابة – 23000 / الجزائر

الهاتف والفاكس: 84.51.49(038) / 84.75.25(038)

الموقع الالكتروني: LLGC.univ-annaba.org

أعضاء اللجنة الاستشارية

رئيس التحرير:

د. محمد بلواهم

الأعضاء:

1. أ.د.عبد المجيد حنون
2. أ.د. صالح ولعة
3. أ.د. إسماعيل بن اصفيه
4. د. عمار رجال
5. د. علي خفيف
6. د. نظيرة الكنز
7. د. نسيمة عيلان
8. د. هجيرة لعور

أعضاء الهيئة الاستشارية:

1. أ.د.مختار نويوات (جامعة عنابة)
2. أ.د. عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)
3. أ.د. الطيب بودربالة (جامعة باتنة)
4. أ.د.عبد الواحد شريفي (جامعة وهران)
5. أ.د. عز الدين مخزومي (جامعة وهران)
6. أ.د.حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)
7. أ.د. عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)
8. أ.د. أحمد منور (جامعة الجزائر).

شروط النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدّة والأصالة.

2. ترسل الدراسات في نسختين وقرص مدمج، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 16×24، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.

3. تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word)، أو نظام (RTF).

4. ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.

5. تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.

6. تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.

7. المقالات لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.

8. المقالات المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن المجلة.

9. يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلات من المقال.

10. ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن، العنوان : كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة باجي مختار/ عنابة ، ص.ب 12- عنابة. 23000/الجزائر.

الهاتف والفاكس: (038)84.51.49 / (038)84.75.25

الموقع الالكتروني: LLGC.univ-annaba.org

الافتتـاحية

الخطابات الأدبية بين التفاضل و التكامل

أمـا قبـــل ؛

فها هي مجلة التواصل الأدبي تكمل مربعها الأول بعد انقطاع طويل، كان نتيجة طبيعية لسلسلة من العقبات أخرت ظهور هذا العدد الرابع بخاصة، وكأن حلت به اللعنة اليونانية التي قادت أوديب إلى مصيره المأساوي وفق ما جاء في الأسطورة.

ولكن وبعد لأيٍ، ذللت تلك العقبات بفضل صلابة عزيمة القائمين على شأن المجلة وإصرارهم على قيادة السفينة إلى المرافئ الآمنة، وهي رسالة واضحة الدلالة، تطمئن قراء المجلة من جهة، وتؤكد من أخرى أنها ماضية في سبيل نشر رسالتها المعرفية التنويرية، لتعميق الوعي بالكتابة الأدبية وبطرق مقاربتها.

وأمـا بـعـــد ؛

فإن مدار هذه الافتتاحية على قضيتين:

أهدف من خلال الأولى إلى توضيح أيهما أنسب إلى الأدب "التفاضل" أم "التكامل" ؟، وأُجلّي هذه الفكرة من خلال الثانية (قراءة في العدد) بوقفة نقدية عند بحوث هذا العدد.

يدل التفاضل على تفوق عنصر على آخر أو قيمة على أخرى، فيكون الفاضل في مرتبة أعلى والمفضول في مرتبة أدنى، ويتجلى ذلك على صعيد الخطاب الأدبي في الإعلاء من قيمة خطاب، فيوصف بالجودة ويطامن من قيمة آخر فيوصف بالرداءة.

واللافت أن صفتي الجودة والرداءة هما صفتان نسبيتان لارتباطهما بالمتلقّين، فواحد يُعلي من قيمة خطاب ما في حين يحطّ آخر من قيمة هذا الخطاب نفسه فيرمي به في أسفل الدركات.

وعلى هذا الأساس يحمل كل خطاب الصفة ونقيضها، فهو جيّد ورديء في آن، ممّا يقتضي وضع كل الخطابات الأدبية في درجة واحدة من سلم القيم، وبالتالي تصنّف تصنيفاً أفقياً بدلاً من التصنيف الرأسي التفاضلي.

يدلّ التكامل على تكافؤ الخطابات وتناظرها، فلكل خطاب أهميته لأنه يعدّ إضافة إلى التجربة الأدبية ممّا يقتضي تضامن هذه الخطابات على تعدّدها واختلافها لتشكل في النهاية خطاباً شاملاً، يستوعب كل التجارب بدلاً من الإقصاء.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الفرق البيّن بين تكامل الخطابات ها هنا وبين شمولية الخطاب عند دعاة نظريات الخطاب (من أمثال: "هاريس" و "إيست هوب، وغيرهما...") الذين اعتبروا كل ما ينتجه الناس خطاباً سواء أكان ذلك خطاباً أدبياً أو فلسفياً، أو دينياً، بما في ذلك خطابات أهل المهن والصناعات. فوضعوا بذلك أعمال "شكسبير" و "إدغارد ألان بو" و "دايسكوفسكي" في مرتبة واحدة مع خطابات أصحاب المهن وكل الفئات الاجتماعية، لأنهم ركّزوا على الاتصال أو التواصل وأغفلوا الجانب التشكيلي الذي يميّز الأدب عن غيره.

في حين أن التكامل الذي أقصده ها هنا هو تكامل الفنون أو تكامل يتم على صعيد العناصر التي تكوّن دائرة الفن عموماً والتي ينبغي أن توضع خطاباتها في أعلى درجات سلّم القيم.

وتأتي وجاهة هذا الطرح من العلاقات القوية التي تربط بين الفنون جميعها، ومن أمثلة ذلك التداخل بين فني الشعر والرسم إلى درجة جعلت قدماء اليونان يعرفون الشعر بأنه رسم ناطق والرسم بأنه شعر صامت، ولم يفلح الناقد الألماني

"ليسينغ" الذي حاول في القرن الثامن عشر طمس العلاقات بين فني الرسم والشعر مبرزاً الفوارق الجوهرية بينهما، ولكن النقاد الذين جاءوا من بعده أعادوا الاعتبار إلى هذه العلاقة، فأكّد "بودلير" (ق19) ذلك بقوله: ((ومن المظاهر المميّزة للوضع الروحي في قرننا أن الفنون جميعاً تنزع نحو تعزيز أحدهما الآخر في أقل تقدير)) {جيفري ميزر: اللوحة والرواية}، ويرى "بروست" أن الرسم ينافس الشعر في الكشف عن جواهر الأشياء.

ويعزز "جيفري ميزر" اعترافات الروائي "د.هـ. لورنس" في بحثه "صناعة الصورة" أن الرسم يشكل مصدراً يستقي منه الروائيون أعمالهم الروائية، حيث تحولت لوحات كثيرة إلى أعمال روائية مثل لوحة "دوامة الخيل" لـ "مارك غيزيتلر" التي حولها "د.هـ. لورنس" إلى رواية "نساء عاشقات"، ومثل لوحة "المسيح داخل القبر" لـ "هولباين" التي حولها "دايسكوفسكي" إلى رواية "الأبله".

وأما على صعيد العلاقات البينيّة {أدب/أدب} فإنها تكون أكثر اتساعاً وتداخلاً، وهو ما كشف عنه البحث في قضية السرقات الأدبية قديماً وأكده مفهوم التناص حديثاً، وفي هذا السياق نشير إلى أثر رواية 'دايسكوفسكي': "الإخوة كرامازوف" على رواية 'طوماس مان' "الدكتور فاوست" حيث اعتبر حوار "أدريان" مع إبليس صورة لحوار "إيفان" مع الشيطان في "الإخوة كرامازوف"، وهذا غيض من فيض.

وفي ضوء ذلك يصبح البحث عن الفَرَادة في النص الأدبي أمراً غير ميسوراً إن لم يكن مستحيلاً، فالخطابات الأدبية إما أشباه أو نظائر، مما يجعل فكرة التكامل أمراً منطقياً تفرضه علاقات الخطابات الأدبية ببعضها بصرف النظر عن اختلاف مذاهبها وأجناسها الأدبية.

وينسحب هذا المفهوم على الخطابات النقدية التي ينبغي أن تُراعى خصوصية كل خطاب لتشكل خطاباً نقدياً شاملاً تتضافر فيه كل الخطابات على اختلافها.

لا مِراء في أن هذه الخطابات تنشأ بدافع حاجات البحث المتنوعة، حيث يصبح كل منهج ضرورة من الضرورات لحل معضلة لا يمكن لغيره أن يقوم بها. فالحاجة التي دفعت "فرويد" إلى اصطناع المنهج النفسي بدلاً من المنهج السيري هي أنه يدرس شخصية غير سوية وبالتالي فهو يبحث عن عقدة نفسية هي سبب الإبداع عند المبدع وهذا أمر لا يتأتّى لمطبقي المنهج السيري الذي يدرس شخصية سوية، ولا مِراء أيضا في أن النظريات المتجهة إلى المبدع لا يمكن أن تحلّ محلّ النظريات المتجهة للمتلقي بالرغم من تماثلهما فكل منهما يرى أن النص يمثل شيئاً خارجاً عنه مبدعاً أو متلقياً، فكل يبحث عن شيء ضاع له في النهر، وبالتالي فتماثلهما لا يلغي المسافة بينهما، فشتان بين من يبحث عن صورة "امرؤ القيس" في شعره وبين من يبحث عن صورته في شعر "امرؤ القيس".

ومن هذا المنظور يمكن استثمار "النسقية التاريخية" و"النسقية النصية" {التعبير لـ : جيزيل فالانسي} في الدراسة الأدبية لأن كل منهما يغطي جانباً لا يغطيه الآخر، فالنسقية التاريخية تمكّن من البحث عن ظاهرة في الزمان من الومضة إلى النص على غرار ما قام به "بيير دي بيازي" في النقد التكويني حيث قسم ميلاد النص إلى أربع مراحل سمّاها:

1. مرحلة ما قبل الكتابة
2. مرحلة الكتابة
3. مرحلة ما قبل الطباعة
4. مرحلة الطباعة

في حين أن النقد النصي يتوسع في دراسة حالة ساكنة، فيبحث في العناصر التي شكلت هذا النص أو ذاك، فتكاملهما يؤدي إلى دراسة مراحل تكون الإبداع ومرحلة تجلّي الإبداع.

قـراءة في الـعــدد:

يتشكل هذا العدد الرابع من مجموعة من الأبحاث تنوعت بين التنظير والتطبيق والترجمة:

1. يعالج المحور النظري قضية التعالقات النصية كما يتبدى في دراسة "موسى مريان" في السّرِقات الشعرية وأنواعها، وكما يتبدى في دراسة "مُحَمَّد رضا بن طبوله" عن علاقات النصوص في الشعرية العربية.

2. ويضم محور الترجمة بحثاً لـ "سيمون فريس" (ترجمة: عبد المجيد حنون) توضح فيه الباحثة الحاجة إلى أسطرة الواقع.

ويضم المحور التطبيقي تسعة دراسات مختلفة اختلاف الإشكاليات المطروحة وطرق مقاربتها، وتتميز هذه الدراسات بثلاث ميزات رئيسة هي:

1. تنوع المناهج، حيث شملت المنهج الأسطوري الذي استعان به كل من "نظيرة الكنز" و "سامية عليوي" و"عبد الحليم منصوري"، والمنهج الاجتماعي كما يبدو في دراسة "رضوان عجاج إيزولي"، و"إسماعيل بن اصفية" و"صالح ولعة"، والمنهج التداولي الذي استعان به "علي خفيف" و"راضية بوبكري"، والمنهج السيري الذي اقتضته دراسة "عمار رجال".

2. تنوع الأجناس الأدبية مدار الدراسات وشملت الشعر، والمسرح، والرواية، والخطبة، والمذكرات، فضلاً عن الخطاب السياسي.

3. تنوع المصادر التي استقى منها الأدباء مادتهم لتشكيل إبداعاتهم، فلجأ بعضهم إلى الأسطورة، و وظف آخرون التاريخ، ولجأ البعض إلى الراهن الذي يشكل حياتهم اليومية واستقوا منه مادتهم.

ولكن خلف هذا التنوع (المناهج – الأجناس – مصادر التجربة) تقبع قضية جوهرية يتقاطع فيها الجميع، وهي اعتبار النص بنية دالّة وليس مجرد تشكيل لفظي، وبتعبير الفلاسفة فإنهم يرون الأدب وسيلة وليس غاية في ذاته، يتبدّى ذلك في سعي كل دراسة إلى إبراز الدور الفاعل الذي يضطلع به الأدب في حياة الأمم. ولكن كل دراسة وضعت إستراتيجية خاصة بها حفظت لها حدودها كما يتجلى في تتبع كل دراسة على حده.

- تكشف دراسة "نظيرة الكنز" عن تكاتف المخيال الأدبي مع النصوص المؤسسة في رسم صورة النبي "سليمان"(عليه السلام) مما يدل على تشارك الأدب والتاريخ والنصوص المقدسة.
- وترى "سامية عليوي" أن "نزار قباني" وظف رمز "شهرزاد" لتحدّث عن وضع المرأة العربية التي ينبغي أن تثور على واقعها وتكسر قفص الحريم، لتحقيق إنسانيتها.
- ويصب بحث "عبد الحليم منصوري" في هذا المجرى حين يكشف عن توظيف بعض الرموز الأسطورية اليونانية للتعبير عن الواقع الجزائري.
- ويتواشج الحسّي والمعنوي في الشعر الصوفي كما يراه "رضوان عجاج إيزولي" لتبليغ رسالة ما، وبالتالي ليس الشعر مجرد شطحات صوفية بلا دلالة.
- ويطرح "إسماعيل بن اصفية" قضية الالتزام في مسرح "الشرقاوي" الذي كشف عن وعي سياسي واجتماعي في مسرحية "ثأر الله".

- ويشاركه "صالح ولعة" من خلال "خطاب المدينة" حيث يعتبر الفنان مؤرخاً يحفظ الذاكرة التاريخية من عبث الأقلام المأجورة.
- ويكشف "علي خفيف" أن تواشج الشعرية والتاريخ والسياسة كان سبباً في تأثير "طارق بن زياد" في مُتلقّيه الذين سارعوا إلى الجهاد.
- وترى "راضية بوبكري" أن الأبعاد الإنسانية تعدّ من استراتيجيات الخطاب السياسي إلى جانب قضايا أخرى.
- ويعد "عمار رجال" مذكرات "أندريه جيد" وثيقة تاريخية مهمة تسهم في رسم صورة الجزائر من خلال بعض مدنها في مرحلة تاريخية معينة.

يؤدي تكامل هذه الدراسات إلى تشكيل خطاب نقدي متعدد العناصر كصورة تناسقت ألوانها ، وهو ما لا يحققه "التفاضل" القائم على الإقصاء.

ولهذا ينبغي أن تُصرَف عناية الباحثين في هذا المجال إلى الكشف عن الأماكن المظلمة التي يثيرها كل منهج، وبالتالي البحث عمّا يضيفه كل واحد إلى التجربة النقدية. وهو ما يؤدي بالتالي إلى تجنب الأحكام التفاضلية التعسفية المخالفة لمنطق البحث، لأنها تعتمد معايير غير فاعلة مثل المعيار الزمني والانتصار لأحد الطرفين ، إمّا القديم وإما الحديث. كما يتجلى في الثنائيات حديث/قديم، أو جديد/تقليدي. ويمكن الاحتكام إلى معيار حضاري: تقدم/تخلف، وهو ما يؤدي إلى إفقار التجربة النقدية. بينما يؤدي التكامل الذي يقرّ مبدأ التكافؤ بين الخطابات غلى إغنائها. وقد كشف "مالكوم كاولي" عن أهمية التكامل حين شبه تعدد الممارسات النقدية وتنوعها ببيت متعدد النوافذ، وهو تشبيه يجسد واقع الإبداعات أيضاً.

رئيس التحرير:

د. محمّد بلواهم

الفهرس

الافتتاحية.....5-11

الفهرس.....12- 13

أولاً: الدراسات:

1. نظيرة الكنز 14

سليمان ((عليه السلام)) في الأدب العربي بين النصوص المؤسسة والمتخيلة

2. سامية عليوي 39

من الأنوثة والجمال إلى الثورة والخلاص، شهرزاد في شعر نزار قبّاني – دراسة نقدية أسطورية

3. عبد الحليم منصوري 66

ملامح أساطير إغريقية في روايات جزائرية – دراسة نقدية أسطورية

4. رضوان مُحَمَّد سعيد عجاج إيزولي 83

تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي " أبو مدين التلمساني أنموذجاً "

دراسة تتناول العلاقة بين الحب الصوفي والحب العذري

5. إسماعيل بن اصفية 112

وقائع الماضي وجراحات الحاضر في مسرحية " ثأر الله " لعبد الرحمن الشرقاوي

6. صالح ولعة 131

خطاب المدينة ؛ قراءة في "عالم بلا خرائط " جبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف

7. علي خفيف 149

خطبة طارق بن زياد بين الشّعرية والسياسة والتاريخ – دراسة تداولية

8. راضية بوبكري 167

الخطاب السياسي ، أصوله النظرية والمنهجية ، وأبعاده الإنسانية

9. عمار رجّال 190

الجزائر في كتابات " أندريه جيد "

10. موسى مريـان 205

السّرِقات الشعرية وأنواعها في نظر ابن رشيق القيرواني

11. مُحَمَّد رضا بن طبولة 222

علاقات النصوص في الشعرية العربية القديمة في ضوء مفهوم التناص

ثانياً: ترجمات:

12. سيمون فريس Simone Fraisse 237

أسطورة جان دارك ، **ترجمة الأستاذ الدكتور: عبد المجيد حنون.**

سليـمان ((عليه السلام)) في الأدب العربي

بين النصوص المؤسسة والمتخيلة

بقلم الدكتورة: نظيرة الكنز

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار– عنابة

الملخص:

تتناول هذه الدراسة تجليات شخصية النبي سليمان عليه السلام في الأدب العربي، وتتّبع العناصر المختلفة التي أسهمت في رسم صورة مميزة انطلاقا من النصوص الأولى المؤسسة، و وصولا عند النصوص المتخيلة التي أضافت عبر حركتي الزمان والمكان عناصر جديدة، حمّلت توظيف هذه الشخصية الدينية أبعادا كثيرة في نصوص أدبية عربية حديثة ومعاصرة .

سليـمان –عليه السلام– في الأدب العربي

بين النصوص المؤسسة والمتخيلة

توطـئة:

شغل اسم النبي "سليمان" عليه السلام المخيلة الإنسانية قديما وحديثا، حيث إنّه ما إنْ يُذكر هذا الاسم حتى تتبادر إلى الأذهان صورة سليمان الملك القوي، والعزيز الغني الذي أوتي الحكمة، وكان عادلا في مواقفه، عابدا لربّه، سُخّرت له كل الموجودات من إنس وجن وحيوان، وكانت تعمل تحت إمرته، ممّا جعل ملكه مميزا ومثيرا للدهشة، فشغل نتيجة لذلك الفكر الإنساني في كل زمان ومكان.

يَرِدُ اسم "سليمان "في النصوص الدينية مرتبطا بجملة من الموضوعات: "الملك، والقدرة، والعظمة، والقوة"، كما يقترنُ اسمه بعالمي الإنس والجن، ممّا سمح بتسلّل بعض الأخبار والمواقف في القصص الخرافي، وتَزدادُ هذه الشخصية تألّقا عندما ترتبط باسم الملكة "بلقيس" لتشع رموزا ودلالات، وتكون سببا في دخول مملكة وانطوائها تحت راية التوحيد، كما تسمح هذه العلاقة من جهة أخرى بتكوّن جملة من الأخبار تسمح –في مراحل تاريخية معينة– بدخول عناصر خرافية وأسطورية تُسهم في رسم صورة مميزة يعتمد عليها المؤرخون والرواة والأدباء في التأريخ أو الرواية أو الإبداع.

ويكون حضور الموتيفات السابقة (القدرة، والقوة، والحكمة) عاملا أساسيا في رمزية هذه الشخصية الدينية بما أوتيت من قوة وحكمة. وحتى أمام الحقيقة الأزلية الثابتة "الموت" فإنها تتحول إلى متغير، إذْ يُدركه الموت دون أن يعلم أحد، ويغادر هذا النبيّ الملكُ الدنيا وقد حيّر عالمي الإنس والجن.

وكي نتمكن من استجماع كل العناصر المشكلة لهذه الشخصية ينبغي أن نتوقف عند أهم الأصول المكونة لها بدءا بالنصوص الدينية الأولى؛ باعتبارها نصوصا مؤسسة، ثم النصوص التاريخية و وصولا إلى تجلي هذه الشخصية في النصوص الإبداعية، وينبغي أن نشير إلى أنّ الأصول التي انبثقت منها شخصية النبي سليمان دينية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى التراث الإنساني بشقيه المكتوب والشفهي، حيث اكتست أبعادا دلالية مختلفة من خلال تفعيل ثوابتها أثناء توظيفها في الإبداع الأدبي بما يتلاءم وروح العصر وفلسفة المبدع وقناعاته.

1- النبي سليمان في النصوص الدينية:

تتفق معظم النصوص الدينية – سواء تعلق الأمر بما جاء في العهد القديم أو القرآن الكريم – على مجموعة من الخصائص التي تميز هذه الشخصية، ولعل أهمها أنّ سليمان هو ابن داوود عليه السلام، وأنّه أوتي الحكمة والملك والقوة، وسُخرت له كل الموجودات، خاصة "الريح، والإنس، والجن، والطير"، وأنه كان مخلصا صادقا عادلا. ويتضح ذلك من خلال العودة إلى هذه النصوص واستجماع كل الثوابت التي تُؤسس خصوصية هذه الشخصية، وفي الوقت نفسه يمكن رصد جملة المتغيرات المرتبطة أساسا بالإطار الزمني والمكاني.

1. أ. سليمان الحكيم في العهد القديم:

وردت قصة الملك سليمان مفصلة في "سفر الملوك الأول "،[1] كما خصّ بسفر يتضمن خلاصة حكمه هو "سفر الأمثال"، بالإضافة إلى "نشيد الإنشاد". ويتحدث "سفر الملوك" في الإصحاح الأول عن تنصيب سليمان ملكا من قبل أبيه "داوود" ثم ينتقل بعد ذلك في الإصحاح الثاني إلى الحديث عن وصايا داوود لابنه سليمان: « ولمّا قَرُبت أيّام وفاة داود أوصى سليمان ابنَه قائلا، أنا ذاهبٌ في طريق الأرضِ كلّها. فتَشدّدْ وكُنْ رجلا. احفظْ شعائرَ الربّ إلهكَ إذ تسيرُ في طرقِه وتحفظُ فرائضَه وصاياه وأحكامَه وشهاداته كما هو مكتوبٌ في شريعةِ موسى لكي تُفلحَ في كلّ ما تفعلُ وحيثُما توجهتَ ».

و يبرز طلب سليمان الحكمة من الخالق بعدما أن حظي بالملك عندما تراءى له ليلا في الحلم: « فَأعْطِ عبدَك قلبا فَهيمًا لأَحكُمَ على شعبِك وأُميزَ بينَ الخيرِ والشَر » (الإصحاح الثالث/سفر الملوك الأول). وقد أعطى الله سليمان حكمة وفهما كثيرا وكان صيته في جميع الأمم « وفاقَتْ حكمةُ سليمان جميعَ بني المَشْرقِ وكل حكمةِ مصر... وكانَ صيتُه في جميعِ الأمم حواليه » (الإصحاح الرابع)، وترد مجموعة من الأخبار تؤكد حكمته وفهمه ومنها حكمه في قضية المرأتين المختلفتين حول الطفل بشطره شطرين حتى يعرف أمه الحقيقية، وقد تسلّلت هذه القصة في التراث الحكائي الإنساني، واتخذت أشكالا مختلفة.

كما تحدث "سفر الملوك الأول" عن بناء سليمان بيتا للربّ للتعبير عن الحمد والشكر، وقد بنى البيت وأكمله في سبع سنين، كما أبرز غنى وثراء سليمان الذي فاق كل حدّ، و أورد في هذا السياق قصة **الملكة بلقيس** التي أرادت أن تمتحنه بإحضار أصناف من الأطياب والذهب والحجارة الكريمة، ولكنها انبهرت لحظة وصولها بملك سليمان وبحكمته « فلما رَأَتْ ملكةُ سبأ كلّ حكمَة سليمان والبيتَ الذي بَناهُ وطعام مائدته ومجلسَ عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسُقاته ومُحْرقاته التي كانَ يصعدها في بيتِ الرّب لم يبقَ فيها روحٌ بعدّ » (الإصحاح العاشر).

وقد بلغ عددُ نساء الملك سليمان أكثر من سبع مائة من السيدات، وثلاث مائة من السراري، وقد أملن قلبه، وكن سببا في غضب الإله منه وفي تمزيق ملكه بعده، ولم يبق إلا جزء واحد منها لابنه، وهكذا حكم هذا النبي أربعين سنة « وكانتْ الأيام التي ملكَ فيها سليمان في أورشليم على كلّ إسرائيل أربعين سنة، ثم اضطجعَ سليمان مع آبائه، ودُفنَ في مدينةِ داود أبيه... » (الإصحاح الحادي عشر).

وما يمكن أن نستخلصه من خلال عرض سيرة هذا النبي الملك كما جاءت في "سفر الملوك":

*أن ملكه كان مميزا من حيث القوة والغنى والعزة.

*أنه أوتي حكمة فريدة فاقت ملوك كل زمان ومكان.

وعليه فإن الجمع بين قوة الملك وقوة الحكمة؛ أي قوة السلطة ورجاحة العقل من أبرز الثوابت التي جعلت هذه الشخصية مميزة، إذ نادرا ما تجتمع الخصلتين في ملك، وإذا اجتمعت فإنه يتحول تدريجيا إلى ملك أسطوري .

1.ب. قصة النبي سليمان في القرآن الكريم:

ورد ذكر النبي سليمان في القرآن الكريم سبعة عشر مرة،[2] وقد جاء ذكره مرتبطا بالموضوعات التالية:

1- التسخير: حيث سخرت كل الموجودات لهذا النبي الملك من ريح ، وإنس وجن وطير: ✧وَلِسُلَيمَانَ الرِيحَ عَاصِفة تجرِي بِأَمْرِه إلى الأَرضِ التي بَارَكْنَا فيها وكُنَّا بِكُلِّ شَيءٍ عَالمِينَ، وَمِنَ الشَياطِينَ منْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دونَ ذَلكَ وَكُنَّا لهُمْ حَافِظِينَ✧ (الأنبياء/81-82). ونجد أنه بالإضافة إلى التسخير الولاء التام لسليمان، لذا تتردد بعض الأخبار عن معاقبته للجن المارقين وحبسهم داخل قماقم، وقد تسللت هذه الأخبار في ثنايا القصص الشعبي الخرافي وكانت مادة دسمة في قصص ألف ليلة وليلة، ويمكن كذلك أن نشير إلى تسخير الريح واستغلالها بعد ذلك في هذا النمط من القص الخرافي في الحديث عن **بساط الريح** فهذه الفكرة مستوحاة من تسخير الله عزّ وجلّ الريح لخدمة الملك سليمان.

2- الملك والحكمة: هناك آيات كثيرة تتحدث عن ملك سليمان العظيم، وعن حكمته التي تجاوزت حكمة أبيه "داوود" عليه السلام ✧ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...✧. (الأنبياء/77-78).

وعدلُ سليمان في هذه القضية واضح أساسه الحكمة المميزة التي اجتمعت مع قوة الملك، وهناك اختلاف بين القرآن الكريم والعهد القديم في إيراد القصة التي تبرز عدله في الحكم ومن ثمة حكمته، ورغم الاختلاف إلا أن الثابت بين النصين أن هذه الشخصية عُرفت بالعدل والحكمة فكانت مصدر خوف وقلق بالنسبة إلى من يتصف بالنقيض. وقد اجتمعت الحكمة مع العلم الغزير، لأن هذا النبي كما ورد في آيات كثيرة يعرف لغة الطير والنمل، ويمكن أن نذكر في هذا السياق قصته مع الهدهد والنملة التي وردت في القرآن الكريم، ولعل هذه الأمثلة تؤكد تلاقي العلم والحكمة والعدل وهي صفات جعلت هذه الشخصية خارقة، وسمحت بتسلل كثير من القصص والحكايات تروي علاقة سليمان بالحيوان وتبرز قدراته الخارقة والعجيبة التي أودعها الله في نبيه فكان عبدا شكورا.

3- سليمان والملكة بلقيس: تحدث القرآن الكريم عن اللقاء بين بلقيس وسليمان في مواضع كثيرة، ولم يذكر القرآن الكريم اسم هذه الملكة، وكان الوسيط بينهما الهدهد؛ حيث برَّر غيابه عن سليمان برؤيته مُلك مميز في سبأ ﴿فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل/22-23).

و تورد كتب التفاسير التي تناولت هذه القصة أخبارا متنوعة وتتفنن في وصف ملك بلقيس، وتتدخل عناصر كثيرة تسهم في نقل صورة هذا الملك لسليمان، ولكن جماع القول أن هذه الملكة عندما ذهبت إلى قصر سليمان انبهرت بعظيم ملكه وثرائه وقوته وحكمته فأسلمت هي وقومها، وناجت ربّها معترفة بظلمها لنفسها بعبادة غيره، معلنة إسلامها مع سليمان لربّ العالمين. وانتقلت الكثير من الموتيفات المتعلقة باللقاء بين سليمان عليه السلام وبلقيس إلى القصص الشعبي كالهدهد، والصرح، وبساط الريح...الخ، وكل هذه العناصر أبرزت تميز ملك سليمان، وانصياع كل الملوك له بما في ذلك ملكة سبأ.

إذا عدنا إلى تفاصيل القصة نجد أنّ هناك اختلاف بين القرآن الكريم والعهد القديم، إذ أن الوسيط في القرآن الكريم هو الهدهد أما في العهد القديم فنجد أن الملكة هي التي سمعت بعظمة ملك سليمان، فأرسلت إليه هدايا كما وضحنا سابقا، ورغم الاختلاف في التفاصيل إلا أن هناك مجموعة من الثوابت هي: (الانبهار، والرحلة ثم بعد ذلك الولاء، والطاعة لهذا الملك).

4- موت سليمان: مثلما شغل النبي سليمان عصره في حياته فقد شغلهم كذلك في موته حيث إنه لم يعلم أحد بموته إلا بعد فترة طويلة، وبقي الجميع يدين بالطاعة والولاء له، وقد ذكر القرآن وفاة سليمان في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَا قَضَينَا عَلَيْهِ المَوتَ مَا دَلهُمُ عَلَى مَوْتِهِ إِلاّ دَابَةُ الأَرضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَا خَرّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يعَلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المْهِينِ﴾.(سبأ/الآية 14)

أسهمت جل هذه الموضوعات في رسم صورة مميزة لهذه الشخصية لتعبر في معناها العميق عن موضوعات أزلية شغلت الإنسانية ولازالت، وتؤكد في مجموعها تأكيدا لألوهية الخالق وربوبيته وضرورة تحقيق ذلك علما، وملكا وعدلا، وتظهر في سياق عام اقتران النعم بالابتلاء وضرورة ملازمة الشكر لأنعم الله حتى يتحقق النجاح في هذا الابتلاء.

2- النبي سليمان في التراث الإنساني:

إذا عدنا إلى معظم النصوص التراثية التي تحدثت عن الملك سليمان نجد أنها اعتمدت على ما ورد في العهد القديم (سفر الملوك الأول، والأمثال، ونشيد الإنشاد) وعلى ما جاء في القرآن الكريم وما قاله مفسروه -كالطبري، والزمخشري، والنيسابوري وغيرهم- وتكاد معظم هذه النصوص تتفق حول الثوابت التي ذكرناها سابقا وهي: "الملك، والحكمة، والعدل، والتسخير". وإن خضعت هذه الثوابت لمتغيرات أفرزتها جملة المواقف الفكرية والدينية

والاجتماعية والسياسية، وكانت بذلك مادة دسمة حفلت بها المصنفات التاريخية التي اهتمت بتاريخ الملوك.

2.أ. النبي سليمان في كتب التاريخ:

يمكن أن نورد في هذا السياق نص المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر": "ملك سليمان: ولما قبض الله داود عليه السلام قام بعده ولده سليمان بالنبوة والحكم وغمر عدله رعيّته واستقامت له الأمور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله عزّ وجلّ حوله. فلما استتم بناءه، بنى لنفسه بيتا، وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القيامة ...وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لأحد من خلقه، وسخّر له الجن والإنس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عزّ وجل في كتابه، وكان ملك سليمان بن داود على بني إسرائيل أربعين سنة، وقُبِضَ وهو ابن اثنتي وخمسين سنة ".[3]

ويتضح من خلال هذا النص أن سليمان نسبا هو ابن النبي داود، وقد حكم بعده وغمر عدله رعيته، كما بنى بيت المقدس، وخصّ بحكمة مميزة، وسخرت له الموجودات (الجن والإنس والطير)، كما أشار المسعودي إلى أن حكمه دام أربعين سنة. وهو يتفق مع ما جاء في نصوص الكتاب المقدس.

عليه فهناك اعتماد على النصوص الدينية خاصة العهد القديم، واهتمام بمعطيات تاريخية محضة "النسب/المكان /الزمان". كما يورد صاحب معجم البلدان خبرا يبرز عظمة الملك وهو بناؤه لـ**"تدمر"** وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على العمد والرخام زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان عليه السلام.[4] ويتضح مما سبق أن النصوص التاريخية تركز على الثوابت السابقة: (الملك والحكمة والتسخير والعظمة) وهي عناصر كما أشرنا سابقا ستكون موتيفات جوهرية تسهم في تحول الشخصية وتغيرها في النصوص المتخيلة.

2.ب. سليمان عليه السلام/ألف ليلة وليلة:

إذا تصفحنا هذا الكتاب نجد بعض العناصر الخرافية والعجائبية أسهمت في تكوين تصوّر جديد يضفي على شخصية النبي سليمان هالة أسطورية ويمكن أن نذكر: "الجن والعفريت وبساط الريح وخاتم سليمان السحري ". ووظفت هذه العناصر بمكوناتها الجديدة بعد ذلك في الإبداع الأدبي، لاسيما وأنّ تأثيرات كتاب ألف ليلة كانت غير محدودة في كل الأجناس الأدبية (شعرا، قصة، رواية، مسرح)، وانتقلت إلى ثقافات أجنبية سمحت برواج هذه الصورة الجديدة.

ولعل أبرز حكاية يتجلى فيها حضور النبي سليمان هي **حكاية الصياد مع العفريت**(5) التي وردت في الليلة الثالثة والرابعة من الليالي التي تصور لنا قصة ذلك الصياد الذي يتردد يوميا للصيد دون جدوى، وحدث يوما أن شبكته علق بها شيء غريب "... إلى أن طلعت البر و فتحها فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان ...". وقد انتقلت هذه الحكاية وتسللت إلى قصص شعبي عربي وأجنبي حافظت على بعض عناصرها الثابتة وأضيفت إليها عناصر جديدة بحسب خصوصية البيئة التي استقبلتها، ولكنها في إطارها العام نجد الموتيفات الرئيسة نفسها.

3- تجليات شخصية سليمان الحكيم في الشعر العربي:

إذا تصفحنا النصوص الشعرية العربية قديمها وحديثها، نلمح توظيفا مميزا لشخصية النبي سليمان، يتراوح بين الحضور المحتشم في النصوص القديمة والمكثف في النصوص الشعرية الحديثة، ولعل مردّ ذلك يرجع إلى خصوصية هذه الشخصية من جهة؛ فهي ذات أصول دينية، وارتباط التوظيف بجملة من المرجعيات التاريخية والاجتماعية والفكرية والفنية من جهة أخرى.

اعتمد الشعراء في توظيفهم لشخصية "سليمان" على المصادر التالية: "التوراة، والقرآن الكريم، وألف ليلة وليلة"، وقد ركّز الشعراء على العناصر التالية: (الملك، والقوة، والحكمة، والتسخير، وبلقيس، والموت)، وكان تجليها صريحا بسيطا مباشرا تارة، وتجليا غامضا عميقا غير مباشر تارة أخرى، مع تطويع الشعراء لهذه المكونات من خلال إحداث عمليات التماثل أو التشويه أو الغموض .

وهناك اختلاف بين الشعراء في استلهامهم لمجمل هذه العناصر، سببه الرئيس اختلاف في الرؤية والأداة والتشكيل، فحضور هذه الشخصية في الشعر القديم يختلف عن الحديث والمعاصر ممّا سمح بتجدد رمزية هذه الشخصية في الإبداع الشعري وتألقها من واستمرارها من جهة أخرى.

3/أ– سليمان الحكيم في الشعر القديم:

استقى معظم الشعراء الجاهليين معظم الأخبار التي ارتبطت بالنبي سليمان من قصص أحبار اليهود الذين كانوا يترددون أفرادا وجماعات إلى شبه الجزيرة العربية، يروون قصصا عجيبة عن الملك سليمان الذي حكم منطقة الشرق الأوسط أربعين سنة بنى فيها البيت المقدس، وشيّد أعظم مدن عصره، وبلغ من القوة والحكمة ما لم يبلغه غيره من ملوك عصره.

ويكاد يتفق الشعراء القدماء في توظيفهم لقصة النبي سليمان استلهامهم فكرة التسخير والبناء، التي تتجلى من خلالها قدرة سليمان عليه السلام على التحكم في الإنس والجن وتسخيرهم في البناء وغيره، وبما بني في عصره من غريب البنيان العجيبة، ممّا دفعهم إلى ردّ كل بناء عجيب ونسبته إلى عصر سليمان. وفي هذا السياق نورد قول الشاعر"البعيث"[6]:

بَنَى زِيادٌ لِذكْرِ الله مَصْنعةً مِنَ الحجَارةِ لَمْ تُعملْ مِنَ الطِينِ
كَأَنَّها، غَيرَ أَنَّ الإِنسَ تَرْفَعُهَا مما بَنتْ لِسُليمانَ الشيَاطِينُ

وفي السياق نفسه نجد قول الأعشى :

أَرَى عَادِيًّا لَمْ يمنَعِ المَوتُ رَبَّهُ وَ وَرْدٌ بِتَيمَاءِ اليَهُودِي أَبْلَقُ

بَنَاهُ سُلَيمانُ بنُ دَاودَ حِقْبَةً لَهُ جَنْدَلٌ صَمٌّ وَطَيٌّ مُوَثَقُ

ولعل أبرز ما وصلنا من شعر قديم وظفت فيه شخصية "سليمان" قصيدة النابغة الذبياني في مدحه لملك الغساسنة " النعمان بن المندر"، حيث يستغل موتيفاً بارزاً هو "ملك سليمان العادل، وتسخيره الجن لبناء تدمر ومعاقبته الماردين، يقول في هذا السياق:

وَلا أَرى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلاَ أُحَاشِي منَ الأَقْوَامِ من أَحَدِ

إلاَّ سُلَيمانَ إِذْ قَالَ الإِلهُ لَهُ قُمْ فِي البَرِيَةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ

وَخَيِّس الجنَّ، إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لهم يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَاحِ وَ العَمَدِ

فَمَنْ أَطَاعَكَ فَانْفَعْهُ بِطَاعَتِه كَمَا أَطَاعَكَ،وادْلُلْهُ عَلى الرَشدِ

وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً تَنْهى الظَلُومَ ولاَ تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ(7)

كان استحضار الشاعر الجاهلي لسليمان مباشرا، وقد أبقى على العناصر المشكّلة للقصة دون أن يطوعها، فكان تجليها مباشرا لا يتجاوز بناء الصورة البيانية خاصة التشبيه (كأن جن سليمان)، (كأنها، غير أنها الإنس ترفعها). ومعظم النماذج المقدمة جاءت في سياق مدح ملك، وعليه فاستحضار صورة الملك سليمان كان من أجل إعطاء هالة عجيبة على الملك الممدوح تضاهي أو تشبه ملك سليمان. والتوظيف لا يخرج عن إطار قيم الجماعة السياسية والفكرية والاجتماعية...

أما اعتماد الشعراء على عنصر البناء وتفعيله فمردّه أساسا إلى انبهار العرب القدماء بمدينة "تدمر"، أضف إلى ذلك فإن بيئة العربي القاحلة التي يغيب فيها العمران جعلته ينظر إلى كل بناء نظرة خارقة عجيبة.

وإذا عرجنا على العصور الأخرى نلمح حضورا محتشما لهذه الشخصية، ولعل السبب الأساس يرجع إلى انشغال الشعراء بموضوعات وقضايا مرتبطة بعصرهم، ونكتفي في هذا السياق ما قاله البحتري بركة المتوكل ولا يخرج المثال عما قلناه سابقا من ارتباطه بتعظيم الممدوح وتجلي الشخصية من خلال الصورة البلاغية المباشرة:

كَأَنَّ جِنَّ سُليمانَ الذينَ وَلُّوا إِبدَاعَها فَأدقُّوا مَعَانِيهَا

3/ب– سليمان الحكيم في الشعر الحديث والمعاصر:

عرف الشعر العربي الحديث والمعاصر تطورا ملحوظا من حيث المضامين والأشكال عكس عودة إلى الموروث وتلاقيا مع الآداب الأجنبية، وقد خاض الشعراء تجربة استلهام شخصيات تاريخية أو دينية أو أسطورية وتوظيفها في لبوس جديد يُعبّر عن العصر رؤية وتشكيلا وموقفا. ومن أهم الشخصيات التي حظيت بالاهتمام "النبي سليمان ". وقد اعتمد الشعراء على المصادر التالية (التوراة والقرآن الكريم وألف ليلة وليلة) في استثمار جلّ المكونات، وكان التوظيف من خلال التجلي الصريح في العنوان أو الصور البلاغية أو الإشارة إلى عنصر أوصفة مرتبطة بالشخصية.

استغل "أحمد شوقي"[8] العلاقة المميزة التي رويت عن سليمان والطير، وقد نظم مجموعة من القصص الشعري أبرز فيه قدرة سليمان على مخاطبة الطير وتسخيرهم والحكم في قضاياهم، ونشير في هذا السياق أن القصة على لسان الحيوان عرفها العرب قديما وكانت تحمل قيما مختلفة أخلاقية وسياسية وفكرية ... وقد تحدثنا سابقا عن علاقة سليمان بـ"الهدهد والنملة"، وقد استغل الشاعر هذه العلاقة في بناء قصة شعرية وسمها بـ "سليمان والهدهد" يصف فيها مجيء الهدهد شاكيا حبة أحدثت في صدره غلة قائلا:

وَقفَ الهُدهُدُ فِي بَا بِ سُلَيمان بِذُلّـه
قَالَ:يَا مَولايَ،كُنْ لِي عِيشَتِي صَارَتْ مُمِلَّه

مِتُّ مِنْ حَبَةِ بُرٍّ أَحْدَثتْ فِي الصَّدْرِ غُلَّه
وَإِذَا دَامَتْ قَلِيلاً قَتلَتْنِي شرَّ قَتْلَه
فَأَشَارَ السَّيدُ العَا لِي إِلَى مَنْ كَانَ حَوْلَه
قَدْ جَنَى الهُدْهُدُ ذَنْبًا وَأَتَى فِي اللُؤْمِ فِعْلَه
تِلْكَ نَارُ الإِثْمِ فِي الصَّدْ رِ، وَذِي الشَّوْكَةِ تَعلَه
مَا أَرَى حَبَّةً إِلاَّ سُرِقَتْ مِنْ بَيْتِ نَمْلَه
إِنَّ لِلظَالِمِ صَدْرًا يَشْتَكِي مِنْ غَيْرِ عِلَّه !

وفي السياق نفسه قصة سليمان مع الطاووس الذي أبدى غرورا وتكبرا، وشكا أن غيره يملكُ صوتًا بينما حُرم هو هذه النعمة، وعرض قضيته لسليمان :

سَمِعْتُ بِأَنَّ طَاووُسًا أَتَى يَوْمًا سُلَيْمَانَا
فَقَالَ : لَدَيَ مَسْأَلَةٌ أَظُنُّ أَوَانَهَا آنَا
وَحُسْنُ الصَّوْتِ قَدْ أَمْسَى نَصِيبِي مِنْهُ حِرْمَانَا
فَمَا تَيَمَتْ أَفْئِدَةً وَلاَ أَسْكَرَتْ أَدَانَا

فكان ردُّ سليمان أنها حكمة الخالق، ونتيجة منطقية لسلوك الطاووس الذي قابل النعمة بالجحود والكفران:

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَان لَقَدْ كَانَ الذّي كَانَا
تَعَالَتْ حِكْمَةُ البَارِي وَ جَلَّ صَنِيعُهُ شَانَا
لَقَدْ صَغُرْتَ يَا مَغْرُو رُ نِعمَةَ اللهِ كُفْرَانَا
وَ مُلْكَ الطَّيْرِ لَمْ تَحْفَلْ لَهُ كِبْرًا وَ طُغْيَانَا

فَلَوْ أَصْبَحْتَ ذاَ صَوْتٍ لمَاَ كَلَّمْتَ إِنْسَانًا

كما استخدم شوقي هذا القالب القصصي الشعري في قصة أخرى مع الحمامة التي كانت تحمل رسائل الملك سليمان، وسوّلت لها نفسها ضرورة معرفة كنه الرسائل وخانت الأمانة، فكانت النتيجة أنها فقدت المكانة، و نورد من هذه القصة الشعرية (سليمان والحمامة) الأبيات التالية:

كَانَ ابْنَ دَاوُدَ يُقَرِّبُ فِي مَجْلِسِهِ حَمَامَه
خَدَمَتْهُ عُمْرًا مِثْلَمَا شَاءَ صِدْقاَ وَاسْتِقَامَه
فَأَرَادَتْ الحَمْقَاءُ تَعْرِفُ مِنْ رَسَائِلِهِ مَرَامَه
فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ أَنْ تَكُو نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الزَّعَامَه
فَبَكَتْ لِذَاكَ تَندُما هَيْهَاتَ لاَ تُجْدِي النَّدَامَه
وَأَتَتْ نَبِيَ الله وَهِيَ تَقُولُ :يَارَبَّ السَّلاَمَه!
قَالَتْ:فَقَدْتُ الكتُبَ – يَا مَوْلايَ– فِي أَرْضِ اليَمَامَه
...لِتَسَرُعِي لمَاَ أَتَا نِي البَازُ يَدْفَعُني أَمَامَه !
فأَجَابَ :بَلْ جِئْتَ الذّي كَادَتْ تقُومُ لَهُ القِيَامَه
لَكِنْ كفَاكِ عُقُوبَةً مَنْ خَانَ خَانَتْهُ الكَرَامَه!

ويبدو من خلال المقاطع الشعرية السابقة أن الشاعر استغل العنصر الخارق المتمثل في علاقة سليمان بالطير لينسج من خلاله قصصا تعالج موضوعات ذات طابع أخلاقي اجتماعي (الظلم، والغرور، والخيانة)، وكان التوظيف من خلال استخدام صور بلاغية مباشرة، وباعتماد تقنية الحوار والوصف والرمز وهي العناصر التي تشكل جمالية القصة الشعرية .

أمّا الشاعر السوداني "مُحَمَّد الفيتوري " في ديوانه "**البطل والثورة والمشنقة**" فإنه يركّز على الحلقة الأخيرة من قصة سليمان أي موته ليعبر من خلال قصيدة **موت الملك سليمان**[9] عن غياب الفعل الثوري الحكيم والفاعل، فبموت الملك سليمان ماتت المدينة وغابت الشمس، وتحولت إلى مدافن يقول الشاعر في هذا السياق:

لو أنّ هذا الجسدَ المُلقى على كرسيّه

مالَ قَليلاً

لاستيقَظْتْ من نومها مدينةُ النحاس

واستغرق الحرّاسُ

في البكاءِ و الضحكِ

فزائرُ الموتِ الذي زار سليمان الملك

كانَ ثقيلاً

وسليمان الملك

ماتَ طويلا !

يُطوّع الشاعر في هذه القصيدة معظم الموتيفات المرتبطة بالشخصية (الحكمة، والعصا، والمارد، وبلقيس، والدودة) ليعبر عن الجور والظلم والفساد وغياب العدل والحكمة وانطفاء شمس الملك سليمان بعد أن:

وانفجرت دُويبَة الأرض من الضحكِ

حينَ تهَالَكَتْ فُجَاءَةً عَصَا الملكُ

أَكَانَ مَجْنُونًا؟

أَكَان عَاقِلاً ؟

أكَانَ قديسًا ؟

أَكَانَ قَاتلاً ؟

وعليه يبدو أن الشاعر عبّر من خلال هذه القصيدة عن غياب الفعل السياسي الحقيقي في الوطن العربي، ويكون موت الملك سليمان رمزا لموت العدل والحكمة والقوة والحرية.

وظّف الشاعر "توفيق زياد" في قصيدة (رمضان كريم) خاتم سليمان السحري ليحقق به أماني الفقراء في هذا الشهر الكريم، فكان تجلي هذا العنصر مباشرا يقول في هذا السياق(10):

ويقول خيالي آخر :

***آه لَوْ أَمْلكُ خَاتَمَ "شُبّيك لُبّيك"**

يَأْتي حينَ أَشَاءُ العفْريتُ

(سَعْدُكَ يَا سيّدُ بين يديك!)

لَقَلَبْتُ الدُّنْيَا ..أَوْقَدَتْ جَحيم

وَقَذفْتُ إِلَيْه بِكُلِّ لَئيمٍ

وَجَعَلْتُ الخبْز بدون نقود

وحَفَرْتُ لكلِّ غني قبرا

ورَفعتُ لِكُلِّ فَقيرٍ قَصْرا

وَ زَرَعْتُ الحريَةَ فِي كُلِّ تُرَابٍ

وَ الوَرْدُ عَلَى كلِّ الأبوَابِ !!

يُحَمِّل الشاعر "عبد الوهاب البياتي "في قصيدته "الحجر"[11] شخصية سليمان بعدا وجوديا، ويستغل قصة موته ليبحث من خلالها عن الخلاص بعدما أن أصبح كل شيء حَجرا رميما، وجَفت الآبار والعظام :

وغرقت عبر الليالي "ارَمَ العِمَادِ"
عَصَا سُليمان عَلَى بِلاَطَةَ الزَّمَانِ
وَهُوَ عَلَيْهَا نَائِمٌ، مُتكئ، يقظان
يَنْخُرها السوس، فيهوي ميتا رميم.

ثم يواصل في عرض واقع المدينة التي صارت يبابا إلى أن يقول:

وَالدودُ فَوْقَ وَجْهِهِ فَارَ وَفِي الأَقْدَاحِ
العَنْدَليبُ قَالَ لِي، وَقَالَتْ الرِّيَاحُ
–اللَّيلُ طَالَ، طَالَتْ الحياه
فَأَيْنَ يَا رَبَّاه !
شَمْسُكَ! تُحي الحَجَرَ الرَّمِيم
وَتُشْعِلُ الهَشِيم.

وخلاصة القول فإن سليمان الملك الحكيم شغل وجدان الشعراء العرب ولم يزل، فبعضهم استغل علاقته بالطير ليتخذها رمزا لجملة من القيم الأخلاقية، والبعض الآخر استغل خاتمه ليغير الواقع الاجتماعي على المستوى المتخيل. ومن الشعراء من توقف عند قصة موته ليتخذها رمزا للموت العربي، وللقهر المسلط على الإنسان العربي عموما. إنه رمز متغير بمكوناته الخارقة والعجيبة المتجددة في كل توظيف شعري. ويمكن التنبيه إلا أن توظيف

الشاعر المعاصر نحا منحى جديدا يعبّر عن علاقة متميزة بالموروث، واتجاه عام في توظيف شخصيات دينية أو تاريخية أو أدبية في التعبير عن قضايا العصر ومشكلاته.

4- حضور شخصية النبي سليمان في النثر العربي :

تردد اسم "سليمان" في القصص العربي الشفوي والمكتوب، وحاولت المخيلة العربية أن تنسج من خلال حضوره كمّاً هائلا من القصص انطلاقا من جملة العناصر المرتبطة بهذه الشخصية (الملك، والقدرة، والحكمة) وبعض الموتيفات (الجن، والهدهد، والريح، والقماقم). وكان توظيف الشخصية انطلاقا من المصادر الثلاثة التي ذكرناها سابقا "العهد القديم والقرآن الكريم وألف ليلة وليلة".

وما يمكن ملاحظته في هذا السياق أنّ التوظيف لم يكن مباشرا ولم يكن مكثفا، وإنما نجد استغلال لبعض العناصر الخارقة في التراث النثري خاصة ما تعلق منه بعلاقة الجن بسليمان وعلاقته بالطير والنمل والريح -أي بالموجودات في عمومها- ويحتفظ التراث الشعبي بكم هائل من الحكايات في هذا السياق، كما استغل الأدباء هذه العلاقات في الإبداع النثري بمختلف أشكاله، والواقع أن الاستلهام في مجموعه كان في نطاق عوامل كثيرة (تاريخية، واجتماعية، وسياسية، وفكرية)، ومسايرا لروح العصر ووفقا للقناعات الأيديولوجية والجمالية ومتطلبات حركية المجتمع، ويمكن أن نوضح ذلك من خلال التراثين الشفوي والمكتوب .

4.أ. في الأدب الشعبي :

حظي " النبي سليمان عليه السلام " بمكانة مميزة في الحكايات الشعبية خاصة ما تعلّق منها بالجانب العجائبي والخرافي، وقد حافظ القصص الشعبي في هذه الحكايات على جملة المكونات الأسطورية المشكلة للأسطورة. وكان حضور ((بساط الريح، والعفاريت، وخاتم سليمان)) مكثّفا في المرويات الشفوية، ويحمل جملة من القيم الاجتماعية والفكرية والدينية.

وقد ظهر في فترات كثيرة ميل العامة إلى نسج القصص والأساطير عن إمكانية تسخير الجن لخدمة الإنسان، فهناك حكايات كثيرة عن المارد المحبوس في قمقم منذ آلاف السنين والذي يصبح خادما لصاحب الحظ السعيد، فيحقق له رغباته وينقله إلى عالم خيالي وقصور عجيبة حجارها من ذهب وفضة... وهذا ما نجده في سيرة سيف ذي يزن وحمزة البهلوان والملك الظاهر، وغيرها .

وتلعب الدوافع الاقتصادية دورها في حمل الطبقات الفقيرة المحرومة على الاعتقاد بالجن وبخاتم سليمان ذي القدرة العجيبة، والمتأمل القصص الشعبي يجد أنّ الجن لعبوا دورا بارزا في السيطرة على خيال الجماهير وتشكيل مفاهيمها في الموضوعات والأحداث التي يستعصي عليهم تفسيرها، ناهيك عن استخدام طلاسم سليمان في السحر وما شابه ذلك. وعليه يبدو أن حضور سليمان كان ولا يزال في التراث الشعبي مكثفا لارتباطه بعالمي الإنس والجن، وهما العاملان اللذان يشكلان القصة الشعبية.

4.ب. في المسرح:

وظف الكاتب المسرحي "توفيق الحكيم" شخصية "سليمان" في مسرحية **سليمان الحكيم**،[12] ونشرت لأول مرة سنة 1943م، ويصرح الكاتب في مقدمة المسرحية أنه بناها على كتب ثلاثة: القرآن الكريم والتوراة وألف ليلة، فمن القرآن استخدم ما ورد عن ملكة سبأ والهدهد والجن والقصر الممرّد، ومن التوراة روحها الشعرية (نشيد الإنشاد)، ومن ألف ليلة وليلة قصة الصياد والقمقم الذي سجن فيه الجني (داهش بن الدمرباط) .

وقد استغل الحكيم كل هذه العناصر وحاول تطويعها بالاتكاء على موضوع جوهري هو إغراء القدرة لمالكها على إساءة استخدامها واعتقاده أنه يستطيع أن يحقق بها ما أراد حتى لو كان امتلاك قلب بشري. وهذا ما نلمحه في حوار سليمان مع بلقيس ((سليمان: هي القوة يا بلقيس... تعمي أبصارنا أحيانا عن رؤية عجزنا الآدمي وتنسينا ما منحنا

من حكمة... وتزين لنا المضي في كفاح لا أمل لنا فيه... ما ظنك به بعد اليوم... ما لون ابتسامتك إذا ذكرت أمامك بعد الآن حكمة سليمان.))

وعليه فسليمان في هذه المسرحية يمتلك القدرة ولا يملك الحكمة، وهكذا تمكن الكاتب من تطويع هذه الشخصية لتصبح رمزا لذلك الصراع الدائر على مسرح الدنيا، وتعبّر عن امتلاك الإنسان للقدرة واستخدامها فيما ينبغي ولا ينبغي وفقدانه الحكمة، وعليه وكأن الحكيم يبرز قضية جوهرية هي ازدياد قدرة الإنسان بنسبة تفوق كثيرا ازدياد حكمته ممّا ينزل بالإنسانية المحن.

4.ج. سليمان في الرواية:

مثلما شغلت العلاقة المميزة بين "سليمان" والجن حلقات السمر والحكايات وكتاب المسرح، شغلت أيضا القصاصين والروائيين، ويظهر ذلك جليا مع "طه حسين" في "الأيام"[13] حيث يبرز هذا العالم العجيب السحري، ويصور للقارئ تعلق خياله كطفل بتسخير الجن والعثور على خاتم سليمان، فكان ينظر إلى القناة والضفة الأخرى وكأنها عالم آخر عجيب "كان يعلم يقينا لا يخالطه الظن، أن هذه القناة عالم آخر مستقل عن العالم الذي كان يعيش فيه، تعمره كائنات غريبة مختلفة... ومنها هذه الأسماك الطوال العِراض التي لا تكاد تظفر بطفل حتى تزدرده ازدرادا، والتي قد يتاح لبعض الأطفال أن يظفروا في بطونها بخاتم الملك، ذلك الخاتم لا يكاد الإنسان يديره في إصبعه حتى يسعى إليه دون لمح البصر خادمان من الجن يقضيان له ما شاء، ذلك الخاتم الذي يستخدمه سليمان فيسخر له الجن والريح وما شاء من قوى الطبيعة."

ونلاحظ جليا حضور جملة العناصر الخارقة، فالخاتم يعزى إلى سليمان الذي سخرت له الجن والريح، أما السمكة التي تحوي داخلها هذا الخاتم فهي مباركة. وتبقى هذه العناصر هي الأكثر استغلالا من قبل القصاصين والروائيين، ويبدو أن ما ورد في النص التراثي "ألف ليلة"

كان مصدرا مهما استقى منه الكتاب هذه العناصر خاصة: (الجن، والخاتم، والقمقم، والريح، والهدهد)، ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى رواية "نجيب محفوظ[14] " **ليالي ألف ليلة** التي جنح فيها الكاتب إلى توظيف مميز لعالم الجن، وتصنيفه إلى صنفين يمثلان الخير والشر، ويتحكمان في حياة البشر (الخير "قمقام وسنجام"، والشر "سخربوط و زرمباحة").

حاول نجيب محفوظ أن ينقل القارئ من خلال الجو العجائبي والخارق إلى عالم العفاريت، ففي قصة جَمَصَة البلطي – الذي عثر في رحلة الصيد على كرة معدنية بداخلها جنّ– يستحضر الكاتب النبي سليمان في سياق الحوار الذي دار بين الصياد والجني: «اخبرني عما فعل الله بسليمان؟ ».[15] ويستمر حضور هذه الشخصية في قصة معروف الإسكافي الذي عثر على "خاتمه ": « أقول لكم إني عثرت على خاتم سليمان! ».[16] وينمُّ هذا التوظيف عن ارتباط هذه الشخصية الدينية بقدرات خارقة وتحكمها في عالم الجن والعفاريت، وينفتح في سياق آخر على مكوّنات اللاوعي الجمعي الذي يؤمن بسيطرة هذا العالم. ويبقى استحضار هذه الشخصية مباشرا وسطحيا، يرتبط بالسياق العام الذي وردت فيه القصة الأصل الموجودة في ألف ليلة وليلة، وعليه فالاستلهام يعزّز توازي ليالي محفوظ مع الليالي العربية.

وعليه يتضح أنّ التوظيف لم يكن مباشرا للشخصية، وإنما كان من خلال استلهام المكونات المرتبطة بها، ويقع في مجمله في صلب جملة من المعادلات أغلبها مرتبط بقيم اجتماعية واقتصادية وفكرية.

لم يختلف الروائيون عن كتاب المسرح في استغلال العناصر نفسها، وحاولوا تطويعها حسب حركية المجتمع والقناعات الفردية والتغيرات الجمالية. وعموما يبدو أنّ توظيف هذه الشخصية كان في النصوص الشعرية أكثر من النصوص النثرية، والمرجح أنّ احتضان

التراث الشعبي لهذه الشخصية هو الذي جعل كتاب المسرح والرواية لا يوظفونها توظيفاً تاما كاملاً ومكثفاً.

5- سليمان في وسائل الإعلام و الدعاية:

لم يتوقف سحر عالم سليمان الإنسي والجني عند الأجناس الأدبية التي ذكرناها سابقا، بل تجاوز ميادين أخرى كالحصص التلفزيونية ويمكن أن نذكر في هذا السياق الحصة التلفزيونية الجزائرية **خاتم سليمان**؛ التي تعرض جملة من الأسئلة في مجالات متنوعة ويحصل المجيب على خاتم سليمان، وقد تجاوزت هذه الحصة الحدود الإقليمية إلى بعض الدول العربية. كما غزت هذه الشخصية برامج المخصصة للأطفال والفوازير الرمضانية، كما دخل عالم الإشهار، واستغلت وسائل الدعاية بساط الريح وخاتم سليمان والفانوس السحري والقمقم وسيلة لعرض المنتجات والسلع المختلفة وكأن هذه العناصر تؤدي دورا مهما في جلب الزبائن وإقناعهم بالجودة والتميز وتحقيق المنفعة بعد ذلك.

الخاتمة:

مجمل القول عرفت شخصية النبي سليمان – عليه السلام – توظيفات عديدة ومختلفة في أشكال أدبية عدّة بالاعتماد على مصادر (العهد القديم والقرآن الكريم وألف ليلة وليلة) وتعتبر هذه المصادر الأساس الأول الذي اعتمده المبدعون وبالتركيز على المكونات التالية: (الريح، والهدهد، والجن، وبلقيس، والنمل) وتطويعها وفقا لمعطيات العصر والبيئة والجنس الأدبي، ومن خلال التركيز على الموضوعات التالية: (التسخير، والملك، والقدرة، والحكمة، والموت)، وتحويرها لتصبح هذه الشخصية منفتحة على رموز متعددة، فأصبحت نتيجة لذلك شخصية متميزة في تغير وتبدل مستمرين حسب الزمان والمكان واللغة والنوع الأدبي، ووفقا للقناعات والجماليات والأجناس، وتلتقي معظم التوظيفات السابقة عند نقطتين جوهريتين هما:

القوة : سواء أكانت مادية أم معنوية .

الحكمة: سواء أكانت جلية أم خفية.

ويبقى اجتماع العنصرين السابقين (القوة والحكمة)، هما رغبة لتحقيق صورة الإنسان المنشود والمجتمع المرغوب في كلّ زمان ومكان.

الهوامش:

1- سفر الملوك الأول، الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط، 1985.

2- ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي.

3- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ص73.

4- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ص17/16.

5- ألف ليلة وليلة، ص23 وما بعدها.

6- كتاب الحيوان، الجاحظ، ص187/186.

7- ديوان النابغة الذبياني، ص 21/20.

8- ديوان أحمد شوقي، (سليمان والهدهد ص153- سليمان والطاووس ص 154/155 – سليمان والحمامة، ص169/168).

9- الديوان، محمد الفيتوري، قصيدة موت الملك سليمان .

10- ديوان توفيق زياد، ص342/341 .

11- الديوان، عبد الوهاب البياتي، ص245/244.

12- سليمان الحكيم، توفيق الحكيم، (مسرحية نشرت لأول مرة سنة 1943م).

13- الأيام، طه حسين، ج1، ص13.

14-ليالي ألف ليلة، نجيب محفوظ ، قصة جمصة البلطي وقصة معروف الإسكافي.

15- ليالي ألف ليلة: ص39.

16- ليالي ألف ليلة: ص231.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- الكتاب المقدس: (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط، 1985.

3- ألف ليلة ألف: المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1981.

4- الأيام: طه حسين، دار المعارف، القاهرة، دت، دط، ج1.

5- ديوان أحمد شوقي: أحمد شوقي، المجلد الثاني ،ج4، دار العودة، بيروت دط، دت.

6- ديوان توفيق زياد: توفيق زياد، دار العودة، بيروت، دط، دت.

7- الديوان: محمد الفيتوري، دار العودة ، بيروت، ط3، 1979 .

8- ديوان النابغة الذبياني: النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف دط، دت .

9- الديوان: عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، ط3، 1979.

10- سليمان الحكيم: توفيق الحكيم، 1948.

11- كتاب الحيوان: الجاحظ (أبو عمرو عثمان بن بحر)، تحقيق عبد السلام هارون،دار الجيل، بيروت، ج1، 1996 ص187/186.

12- ليالي ألف ليلة: نجيب محفوظ، مكتبة مصر، ط3، 1987.

13- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، سلسلة الأنيس الأدبية، موفم للنشر، الجزائر، 1989.

14- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج2 .

15- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر،1987.

يصدر المخبر العدد الرابع من مجلته ، بعدما سلخ من عمره ثلاثة عشرة سنة أرسى فيها دعائمه وهياكله، وأنجز عدداً من مشاريع البحث، والنشاطات العلمية وكوّن عددا معتبرا من طلبة الماجستير والدكتوراه في مجالات ذات صلة وثيقة بطبيعة المخبر، وبذلك أصبح يتوفر على طاقات و كفاءات تمكّنه من إصدار مجلة يريدها علمية أكاديمية تعمل من أجل التراكم المعرفي في الأدب العام والمقارن وكلّ ما يتصل به.